التي تشق عادة على النفوس لأنها تصادم الأهواء ، وتحارب الاستخذاء بين يدى الشهوات وفى ذلك من المشقات ما لا يجهله الصغراء بطبائع الناس . فكل ما يشق على النفس أخذا أو تركا ، واعتناقا أو اطراحا ، لابد معه من إرادة قوية وعزيمة صارمة تعين عليه فى الفعل والترك والاعتناق والاطراح .

وإذا تصورت مسلما فى ليلة باردة قارصة البرد يقوم إلى متوضئه ليسبغ وضوءه ، ثم إلى مصلاه ليقيم صلاته فإنك لا تستطيع أن تتصوره على هذا الوجه بغير إرادة قوية وعزيمة صارمة ثم إنك أيضا إن تصورته بين يدى رغبة جائحة شديدة الجموح ، وأمام نزوة نافذة السلطان فإنك لا تستطيع أن تتصوره متغلبا على جموح رغبته وقاهرا لسلطان نزوته إلا بتلك الإرادة القوية والعزيمة الصارمة . فبذلك وحده تهيأ للمؤمن السبل إلى امتثال أوامر الله رب العالمين وتجنب نواهيه

والصيام هو تلك الرياضة النفسية القادرة بالقدرة على تربية الإرادة القوية وتكوين العزيمة الصادقة . فإذا استقام للمسلم أن يصل إلى هذين الأمرين : قوة الإرادة ، وصرامة العزيمة فقد استقام له التحكم فى نفسه راغبا بها فى تحصيل مراضى الله وتجنب مساخطه عز وجل . وهذا هو معنى التقوى التى لا سبيل إليها ولا مطمع فيها إلا من هذه الطريق وهو ما انطوى عليه قوله تعالى : لعلكم تتقون .

وينبغى أن نقف وقفة لا مندوحة عنها حيال التعبير القرآنى : «كما كتب على الذين من قبلكم» ماذا يراد من التشبيه : «كما كتب» فإن كل تشبيه لابد فيه من مشبه ومشبه به . ومعنى يجمع بين المشبه والمشبه به . فما ذلك المعنى الذى يجمع بين الصيام الذى كتبه الله تعالى علينا ، نحن المسلمين ، وبين الصيام الذى كتبه الله على من قبلنا من أهل الديانات السابقة ؟ هل مرجع ذلك المعنى إلى صفة الصوم من الإمساك عن جميع الشهوات الجسدانية ، أو هو يرجع إلى عدد الأيام ، أو إلى معنى آخر سوى صفة الصوم وعدد الأيام ؟

إن الذى تطمئن إليه النفس من مذاهب الأسلاف ، وآراء أهل العلم ، هو ما ارتآه وذهب إليه معاذ بن جبل وعطاء رضى الله عنهما ، وهو أن المعنى الجامع بين الصيامين إنما هو وجوبه على أهل الديانات جميعا ، لا صفة الصوم ولا عدة أيام الصيام .

قال شيخ دمشق الإمام الخليل جمال الدين القاسمى : منى أطلق الصوم فى كل شريعة فلا يقصد به إلا الامتناع عن الأكل كل النهار إلى المساء لا مجرد إبدال طعام بطعام .

ذلك هو الصيام فى الديانات الكتابية ، وهناك ألوان أخرى من الصيام تقوم بها شعوب كثيرة من شعوب الأرض فى جوانب متعددة من دنيا الناس . لا يستطيع الإنسان أن يعتقد فى يسر وسهولة أنها ألوان من الصيام ولدتها المصادفات ، أو اخترعتها الأهواء ، ويغلب على الظن أنها بقايا ديانات طال عليها الأمد فلفها البلى ، وعبثت بها يد الوثنية .

ومن هذه الألوان : الصيام عن بعض الطعام دون بعض ، والصيام فى بعض ساعات اليوم وصيام أيام متواليات وصيام التكفير .

ومن أبرز ألوان الصيام هذه ، وأيها شهرة ، الصيام عن لحم الحيوان كما هى الحال عند البابيين جميعا . وهؤلاء البابيون على قسمين :

قسم : لا يأكل من النبات ما ينمو تحت التراب كالبصل والثوم وما إلى ذلك ، إنما يأكل من النبات ما يتعرض للشمس والهواء .

وقسم آخر : يأكل النباتات جميعا سواء منها ما ينمو تحت التراب ، وما ينمو معرضا للشمس والهواء . وليس يبعد أن يكون ذلك مندرجا أيضا تحت قوله تعالى : «كما كتب على الذين من قبلكم» .

ولو أنك رحت تلتمس حكما للجوع وللظما لرأيت من ذلك شيئا تقوم الملحة فيه إلى جانب الحقيقة قياما يتنع به طلاب المعرفة وطلاب الملحة فى آن . فمن ذلك ما أشار إليه العلامة الخليل ابن جلدون من أن توافر الطعام والشراب داعية ترهل وباعثة كسل وخمول ، ليس بالنسبة للإنسان وحده ولكنه للحيوان كذلك .

وقد ضرب رحمه الله مثلا لهذا فقال : إنك ترى الظبية فى القفر والمعزى فى الريف ، فترى الأولى خفيفة الحركة نشيطة فى حين أن الثانية

ثقيلة وخمة متكاسلة . وسبب ذلك قلة الطعام وشدة الظمأ فى القفار والبوادى ، وتوافره فى الأرياف والأمصار .

ومن ذلك أيضا : أن رجلا من أهل الشام قال لرجل من أهل المدينة : عجبت منكم ، إن فقهاءكم أظرف من فقهائنا ، ومحادثيكم أظرف من محادثينا .

قال المدنى : أوتدرى من أين ذلك ؟

قال الشامى : لا ، لست أدرى .

قال المدنى : هو الجوع يا سيدى ، ثم قال : إن العود إنما صفا صوته ، من أجل أنه خلا جوفه ! !

وإذا تأملت آيات الصيام ، وجدتها بدأت بأن الله تعالى كتب على المسلمين أن يصوموا كما كتب على أسلافهم من أهل الكتاب من قبلهم ، ثم وجدتها تعرضت لبيان الرخصة للمريض والمسافر ، مقررة أن هذا المكتوب صيامه على المسلمين ليس إلا أياما معدودات ، وأن هذه الأيام المعدودات هى شهر رمضان .

«يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون» .

وقد اختص الله تعالى هذا الشهر الكريم بصفتين جليلتين تجعلانه خير الشهور ، وحكمة الله ماضية دائما على تفضيل بعض مخلوقاته تعالى على بعض ، فبعض ملائكته أفضل من بعض ، وبعض رسله وأنبيائه أفضل من بعض ، وبعض الأمكنة أفضل من بعض ، وبعض الأزمنة أفضل من بعض ، فليس بدعا أن يمتاز شهر رمضان عن سائر الشهور وأن تكون له صفتان تدعوان الأمة الإسلامية إلى أعظم الحفاوة به ، وإلى أشد العناية بأمره ابتغاء مرضاة الله فيه .

واحدى الصفتين : أنه خير ونعمة من حيث كان ظرفا للصيام الذى هو تهذيب للنفوس وإصلاح للأبدان .

وثانية الصفتين : أنه مشرق هداية من حيث كان ظرفا لنزول القرآن العظيم ، ففى هذا الشهر الكريم ومن غار حراء على جبل النور فى مكة المكرمة بدت طلائع النور

أول من صلى الفجر
آدم عليه السلام

حدثنا أدب السيرة العطرة قال :

أول من صلى الفجر .. آدم ، شكرا لله على قبول توبته ..

وأول من صلى الظهر .. ابراهيم ، شكرا لله على نجاته من النار ..

وأول من صلى العصر .. يعقوب ، شكرا لله ، أن رد عليه يوسف ..

وأول من صلى المغرب .. داود شكرا لله على قبوله توبته ..

وأول من صلى العشاء .. يونس بن متى ، شكرا لله ، أن نجاه من بطن الحوت ..

وأول من صلى صلاة الجماعة ، الرسول ﷺ ، بالنبيين والمرسلين ، بالمسجد الأقصى ليلة الاسراء والمعراج .

..والله يحب المحسنين

روى عن الامام على بن الحسين زين العابدين رضى الله عنه : أن جاريته كانت تحمل الابريق وتسكب عليه ليتوضأ ، فوقع ذلك على وجهه فشجه ، فرفع إليها رأسه لائما بدون أن يتحدث .

فقالت الجارية : والكاظمين الغيظ ..

قال : كظمت غيظى ! !

قالت : والعافين عن الناس ..

قال : عفوت عنك ! !

قالت : والله يحب المحسنين ..

قال : اذهبى ، فأنت حرة لوجه الله .

فمن تذوق حلاوة الإيمان كان الحب والعفو والرضا من شيمته ، وكان حقا على الله أن يدخله جنته .

يقول ابن عباس رضى الله عنهما : إن رسول الله ﷺ قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول :

أين العافون عن الناس ، هلموا الى ربكم وخذوا أجوركم ، وحق على كل امرئ مسلم اذا عفا أن يدخل الجنة .

والاسلام دين الاخوة والعفو والصفاء والوفاء ، فمن ظلم فغفر وعفا ، فرب العزة يغفر ذنبه ويصفح عنه كما عفا عن ذنب أخيه وصفح ، ويزيده الله سبحانه وتعالى بهذا العفو عزا ورفعة .

.. يهدى للتى هى أقوم

إن الإسلام يطلب الإيمان بالله ، عن طريق التأمل ، والفكر النظيف ، وإقامة الدليل العقلى ، واستعمال القياس الصحيح ليصل الإنسان من وراء ذلك إلى ما فيه سعادته فليس فى الإسلام جمود ولا حجر على العقول ، ولا طمس للمعالم ..

منصور الرفاعى عبيد

دخل علىّ أحد الشباب وجلس بالقرب منى وقد بدت على ملامحه أكثر من علامة تعجب ؟ ؟ فهو زائغ البصر ، مضطرب الأعصاب ، سارح بفكره فى خيال ، فاقتربت منه قائلا : مالى أراك مهمومًا ؟ ؟ . فأجابنى وهو شارد الفكر وفى صوته حدة ، وفى تجاعيد انفعال قال : لقد سمعت منكم بأن الإسلام دين خالد ، عالمى الفكرة ، قلت له : نعم هذا حق ، قال : كيف يكون دينا خالدا وهو لا يستطيع أن يحل مشاكلنا ، قلت له : أية مشاكل تعنى ؟ قال : أقصد المشاكل التى تتعب الإنسان وتؤرقه وتدخل عليه التعاسة وتجلب له الهموم قلت : هون عليك يا ولدى ، وأفض الىّ بمكنون صدرك وبح لى بما يعتمل بخاطرك .

فإن العالم كالطبيب عليك أن تبوح له بأسرار نفسك وهى فى مأمن كما أنك تبوح بموضع الألم فى جسمك ، لأن الطبيب إذا كان يعالجك بالمأديات والعلاقير ليخفف آلامك ، ويعمل على شفائك من علتك فإن العالم يريح نفسك بالكلمة الهادئة والفكرة الطيبة ، ويفتح عقلك على ما فى كتاب الله من خير عظيم ، ويهديك من حيرتك ، ويوصلك إلى شاطئ الأمان وبر النجاة . واسمع معى إلى ما قاله الحق تبارك وتعالى : « أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » .

هدأت نفسه وسكنت أعصابه ، وخفت حدة نظره وبدأ يتكلم باتزان قال : كنت أجلس مع جماعة ممن هم فى سنى ونحن جميعا بالجامعة ، فقال أحدهم : إن الإسلام أصبح لا يصلح لمسايرة العصر ، وعلل ذلك بالمشاكل اليومية التى تصادفنا فى حياتنا ، وقال : هل إسلامكم يستطيع أن يحل تلك المشاكل ؟ ؟ قلت : ما هى المشاكل التى طرحها أمامك ؟ ؟

قال : من الأمثلة : مشكلة السكن وما نراه اليوم من أزمة طاحنة فى المواصلات .. وما نراه من طوابير على الجمعيات الاستهلاكية ، ثم طلب منى الانضمام إلى الجماعة التى ينتمى إليها لأن فكر جماعته يحل هذه المشاكل ، فوقفت وأنبت إليك لترشدنى إلى الطريق المستقيم عملا بقول الله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » .

فقلت له رويدا أيها الشاب .. هذه المشاكل التى تصادفك يوميا تستطيع أن تحلها فى جلسة هادئة تتبادل فيها الرأى .. قال : أصارحك ، إن الذين يطرحون هذه المشاكل هم من أصحاب المذاهب الهدامة والمبادئ المستوردة والأفكار المنحرفة ، وهؤلاء لا يحلو لهم الكلام إلا إذا نالوا من الإسلام .

ووضعوا المعوقات والمشاكل أمام أعيننا ثم قالوا لنا : هل اسلامكم يستطيع أن يحلها ؟ قلت له : تعال أنا وأنت وكل المسلمين نتفق على أن

الإسلام له منهاج وهو القرآن ، وقدوة وهو سيدنا محمد ﷺ ، والقرآن كتاب الوجود فى خلوده ، لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تبلى محاسنه ، وهو كتاب أصول وقواعد ، وليس كتاب جزئيات يتناولها بالتفصيل والتحليل ، والقدوة هو الذى فسر لنا هذه الأصول بسيرته وأقواله وأفعاله وتوجيهاته .

وتعال معى نستعرض المشاكل التى صعب عليك حلها ونقيسها بمقاييس الإسلام استباطا من كتاب ربنا ، واسترشادا بهدى نبينا ﷺ وأفعال صحابته الكرام ، لأن الحق يقول : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » والرسول ﷺ يقول : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا

منصور الرفاعى عبيد

بعدى أبدا كتاب الله وسنتى » .

هدأ : ومن المتفق عليه ، أن الذين يسرو فيه سماحة بكره التعصب وبغضت الجهل والتزمت ، ونحن فى محاورتنا نسترشد بالرأى الأمثل والنصيحة الهادئة ، لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ، والرسول ﷺ يقول لصحابته ولنا وللإنسانية كلها « أنتم أعلم بشئون دنياكم » .

لكن ، ونحن نشكل أمور حياتنا ، علينا أن نسير على هدى القرآن وعمل الرسول ﷺ وصحابته ، والتابعين وتابعيهم بإحسان ، فإذا لم نجد نصا صريحا اجتهدنا فى تأسيس دعائم توصلنا إلى السعادة الدنيوية والفلاح الأخروى ، راندنا فى ذلك ما ورد أن رسول الله ﷺ قال لسيدنا معاذ عندما وجهه إلى اليمن « بم تحكم بينهم ، قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ، قال : بسنتك ، قال : فإن لم تجد ، قال : اجتهد رأيى ولا آلوا ، قال الحمد لله الذى وفق رسول الله إلى ما يحب الله ورسوله » .

إذن فليس بالضرورة أن كل مشكلة تصادفك فى حياتك تجد لها حلا بنص صريح من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ ، او فعل صحابته الكرام ونحن نعلم أن سبيل الدخول فى الإسلام ليس معجزة مادية مؤقتة ، والإقناع بالإسلام ليس عن طريق معجزة زمنية يختص بها من رآها ، أو عاش فى زمنها أو عن طريق سلوك شخصى يتأثر به من رآه ، وإنما الاقتناع بالرسالة الخاتمة عن طريق التأمل فى صفحة الكون وأسراره ليظفر المتحق له بسمو الروح وحضارة المادة ، والمعجزة فكرية خالدة بين يديك تجعل من عمل الفكر المتصل دعما لشرائعه وإقرارا لعقائده .

إن الإسلام يطلب الإيمان بالله عن طريق التأمل والفكر النظيف ، وإقامة الدليل العقل واستعمال القياس الصحيح ليصل الإنسان من وراء ذلك إلى ما فيه سعادته ، فليس فى الإسلام جمود ولا حجر على العقول ولا طمس للمعالم ، إنما هناك اجتهاد مع الالتزام بمنهج المسلمين وعدم الخروج عليهم عملا بقول الله سبحانه : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

فلذا : فأنا وأنت وكل من يهمه الأمر سنجلس على مائدة القرآن مسترشدين بهدى النبى الكريم فإن صادفنا خير فى حل تلك المشاكل فهو من توفيق الله ، وان كان غير ذلك فهو قصور منا وعلينا أن نعود الى الرأى الأمثل والفكر الصحيح . قال محدثى : وقد عاد إلى رشده ، وسكن جسده ، وابتسمت شفتاه : لقد وضحت لى الرأى وبينت لى الصواب فى منهج الاسلام وعدم جموده واحترامه لتفكيرنا وعقولنا ، قلت له : إن القرآن الكريم يعطى خيره ويمنح ثراه لمن أقبل عليه بقلب طيب .. ونفس تواقة ، وعقل متفتح للمعرفة .

وفى هذا يقول الحق « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » أما من صد نفسه عن الخير وجمد عقله على رأى معين ووقف بمعرفته عند فكرة محدودة أو ذهب مشرقا ومغربا يتردد على موائد الئام ليأتى بفتات فكرة معجزة أو قضية مهلهلة ، ويريد أن يزيف علينا تفاهة فكره أو يعرض علينا شتات ما جمعه من هنا وهناك ، أو يترجمت فإننا نقول لهذا وذاك : إن دين الله يسر فلا تضيقوا علينا واسعا ، ولاتطعمونا بغير ما نستسيغ ، ولا تقيسوا على أجسامنا مالا يتناسب مع وضعنا .

لقد ارتضينا الاسلام دينا والتزمنا بمنهاجه ووجدنا الراحة فى أفكاره لأنه حرر العقل من الجمود ورفع الرأس من ذل الخضوع لغير الله ، وأقعدنا مقاعد الصدق على مشارف السعادة وقال لنا « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

فتوى :

الحقن بجميع أنواعها لاتفطر الصائم

ما حكم تعاطى الحقنة فى رمضان ؟

الإجابة عن هذا السؤال ، من مجموعة الفتاوى التى صدرت للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت :

إذا كان من محظور الصوم الأكل والشرب ، وحقيقتهما دخول شئ من الخلق الى المعدة ، والمعدة هى محل الطعام والشراب من الانسان ، وكان المبطل للصوم ما دخل فيها بخصوصها ، سواء كان مغذيا أو غير مغذ ، ولابد أن يكون عن المنفذ المعتاد ، ومن أجل هذا ، فما دخل فى الجوف ولكن لم يصل الى المعدة لايفسد الصوم ، فالحقنة الشرجية يدخل بها الماء الجوف ، ولكن لايصل إليها فلا تفطر . والحقن الجلدية ، أو العرقية – فى العروق – يسرى أثرها فى العروق ، ولاتدخل محل الطعام ، والشراب فلا تفطر .

نعم قد يحدث بعضها نشاطا فى الجسم وقوة عامة ، ولكن لاتدفع جوعا ولاعطشا ، ومن هنا لاتأخذ حكم الأكل أو الشراب ، وإن أدت شيئا من مهمته .

وإذا كان هذا هو الأصل فى الإفطار ، وكانت الحقن بجميع أنواعها لاتفطر الصائم ، فإن ألام البواسير أو مراهمها ، أو الاكتحال ، أو التقطير فى العين أو مسّها ، كل ذلك لا تأثير له على الصوم ، فهو ليس بأكل فى صورته ولافى معناه ، وهو لايصل إلى المعدة محل الطعام والشراب .

الشيخ شلتوت .

حديث شريف

قوم تحابوا فى الله

قال الرسول ﷺ :

ان من عباد الله لأناسا ماهم بأنبياء ، ولاشهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله .

قالوا يا رسول الله : خبّرنا من هم ؟

قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله أن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى منابر من نور ، لايخافون إذا خاف الناس .

وصدق الحق اذ يقول :

« ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون » .

قصة من التراث :

عدل الخليفة عمر بن عبد العزيز

حدثنا أدب التاريخ عن فاطمة بنت عبدالملك بن مروان أنها دخلت يوما على زوجها الخليفة ، أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز فروت قائلة : دخلت عليه يوما وهو جالس فى مصلاّة ، واضعا خده على يده ، ودموعه تسيل . .

فقلت له : مابالك ، وفيم بكاؤك . . ؟ ؟

فقال : ويحك يا فاطمة . . إنى قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت ، فذكرت فى الفقير الجائع والمريض الضائع ، والعارى المجهود ، واليتيم المكسور ، والمظلوم المقهور ، والغريب ، والاسير ، والشيخ الكبير ، والارملة الوحيدة ، وذى العيال الكثير والرزق القليل ، وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلمت أن ربى سيسألنى عنهم يوم القيامة . . وأن خصمى دونهم يومئذ محمد ﷺ . . فخشيت ألاّ تثبت لى حجة ، فلذلك أبكى ! !

عن هذه الصورة الكريمة من خلق خامس الخلفاء الراشدين . . يحدثها الباحث الاسلامى الأستاذ خالد محمد خالد فى كتابه معجزة الاسلام : عمر بن عبد العزيز الصادر عن دار المعارف بالقاهرة ، بقوله :

هذا وضوح مسئوليته عن الأمة كلها والناس جميعا ، وكما قال : فى أقطار الأرض وأطراف البلاد ، إن قلبه الورع التركى الكبير ، مع كل فرد فى أمته .

مع كل يتيم ، وكل شيخ ، وكل أرملة ، مع كل فقير ، وكل مريض وكل مجهود ، مع كل مظلوم ، وكل أسير ، وكل مقهور ، وكل هؤلاء وأولئك ، قابعون فى ضميره ، يخلجلون خاجاتهم ، ويجأرون بشكاواهم ، وينتظرونه – كما يتصور – ليخاصموه يوم القيامة أمام الله رب العالمين ، حيث لاينجيه منهم غدا ، الا ما يبذله اليوم من حق ، وعدل وخير وبر ! !

من هذه الصورة السريعة لوضوح مسئوليته فى عقله وقلبه ، ننتقل إلى صورة سريعة أخرى لزينا استغراقه فى هذه المسئولية وفنائه فيها .

لقد احتوته المسئولية فى خضمها ، فنسى نفسه وأهله ، ودنياه ، وعائله ، نسى كل شئ سواها ! ! بل نسى حظه فى استثمار الرضا والأمن جزاء ما يقدم لدين الله ودنيا الناس ، من ولاء وبر حتى حظه هذا ، نسيه فى غمرة خوفه المشوب من الله ! !